

الفلسفة

لطلبة الطور الثانوي في الجزائر



إعداد الأستاذ

نبيل
مسيعد



ثانوية محمد بنونور - القل - سكيكدة

في الذاكرة و الخيال

إعداد الأستاذ : نبيل مسيعد

www.nabilmasad@yahoo.fr

مقدمة (طرح المشكلة)

الحيوان يعيش اللحظة الراهنة ، دون ان يعود الى ماضيه او يتطلع الى المستقبل . فهل يمكن سحب هذا الكلام على الانسان ؟ وهل من المفروض عليه ان يعود كل مرة الى ماضيه ؟ لماذا يقنع بما هو معاش في لحظته الراهنة ؟ ثم لماذا يشرب متطلعا لما تأتي به الايام ؟ وهل من ضرورة تحتم عليه ذلك ؟ ثم ماهي القدرة التي تمكنه من الذهاب بفكره الى الماضي ؟ وهل هي نفسها التي تاخذه الى المستقبل ؟

I - الذاكرة

كيف يمكن اعتبار التذكر استعادة لما هو ماض من اجل اعادة بناء ما هو راهن ؟

و ضعية مشكلة :

- ما هو شعورك عندما لا تتذكر ما ذاكرته أثناء الامتحان ؟
- هل انت في غنى عن ذكرياتك ؟
- هل يوجد الحصان الطائر ؟
- لماذا نعثر في الآداب العالمية على حيوانات أسطورية خرافية لا وجود لها في الواقع ؟
- هل تصدق بوجود الغول ؟

التعليق

ضرورة وجود قدرتي التذكر و التخيل عند الانسان

الى حد يمكن اعتبار التذكر بمثابة العادة بناء ما هو ماض من اجل التكيف مع ما هو راهن ؟

طبيعة الذاكرة

هل التذكر عملية عضوية يقوم بها الانسان كما يقوم بعملية الهضم و التنفس ؟ لكن لماذا نتذكر بعض الاحداث ونسى البعض الآخر ؟

1 - الخصائص العضوية للتذكر : (النظرية المادية)

الذاكرة وظيفة يقوم بها الجهاز العصبي والذكريات مسجلة في خلايا الدماغ هذه الرؤية المادية للذاكرة جعلت ريبو يقدم لها مفهوم يتفق مع هذه النظرية يقول " (الذاكرة) وظيفة عامة يقوم بها الجهاز العصبي أساسها خاصية العناصر في الاحتفاظ بالتغير الوارد عليها في تكوين الترابطات " ويقول أيضا الذاكرة ظاهرة بيولوجية بالذات وظاهرة نفسية بالعرض وتستند هذه النظرية الى ادلة منها فقدان الذاكرة عند اصابة الدماغ وعندما تتحلل تتبع قاعدة واحدة هي التراجع من الاحداث الى الاقدم ومن المركب الى البسيط وعندما تعود تتبع نفس القاعدة ولكن بشكل عكسي .

النقد

اذا كانت الذكريات مخزنة بشكل مادي فلماذا تتأثر بفعل الصدمات النفسية ؟ ثم ان العمليات على المخ التي ينزع احيانا نصفه لم تمس الذكريات واذا كانت نظرية ريبو تسمح بنقل خلاصة ذاكرة انسان الى انسان اخر فمن أي جزء في المخ تاخذ هذه الخلاصة يقول برغسون في نقد هذه النظرية " لو كانت" توصل العلم حتى الآن إلى تحديد ثلاث مستويات للذاكرة .

2 - الخصائص الشعورية للتذكر (النظرية النفسية)

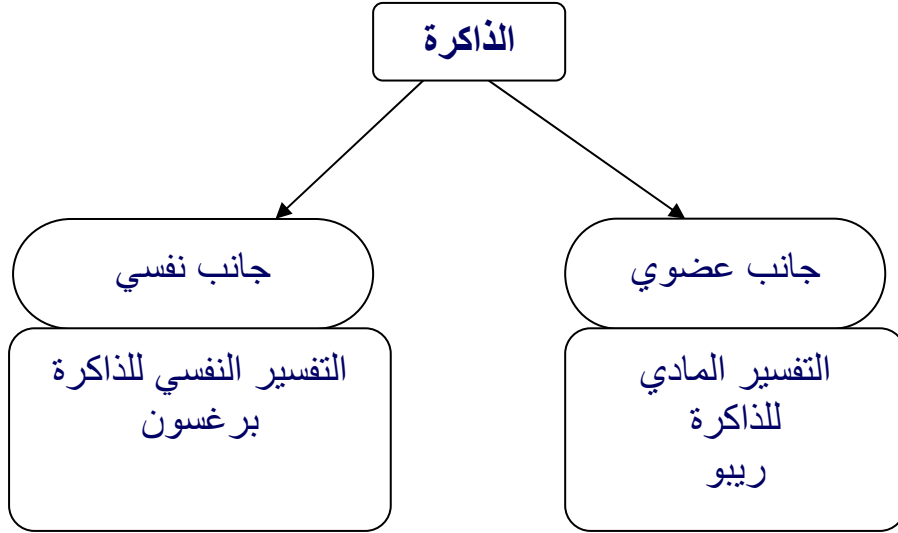
عارض برغسون التفسير المادي للذاكرة فما هو تفسيره لها ؟ يقول : " لو كانت هناك حقا ذكريات في خلايا القشرة الدماغية للاحظنا في الحبسة الحسية مثلا فقداننا لبعض الكلمات المعينة لا يمكن تعويضه وحفظا للاخرى والواقع ان الامور تجري على هذا المنوال " ويقول " ونحن لا نجد في اية حالة من الحالتين ذكريات محددة المكان في خلايا معينة من المادة الدماغية من شأنها ان يزيلها اتلاف هذه الخلايا " فلا يعترف برغسون بمادية الذاكرة الا في حالة واحدة وهي حالة الحبسة وهي فقدان القدرة على الكلام المنطوق مع سلامة الاعصاب واعضاء النطق كما تمس الاضطراب البصري يقول " انها الحالة الوحيدة التي يمكننا فيها ان نعزو للمرض مقرا ثابت في تليف معين من تلافيف الدماغ " وبرغسون يميز بين نوعين للذاكرة ذاكرة حركية وذاكرة نفسية الاولى يكتسبها الجسم بالتكرار والثاني هي الذاكرة الحقيقية وهي الذاكرة النفسية التي تعيد الماضي باعتباره ماضي ويمكن ان يجتمعا هذين النوعين في حفظ قصيدة مثلا ففي الوقت الذي يكتسب فيه اعضاء النطق عادة لفظية عن طريق التكرار فاننا نتذكر الظروف المحيطة المحيطة بعملية الحفظ .

ثم يتساءل في حالة فقدان الذكريات هل الذكريات هي المفقودة ام ان الامر لا يتعدى تعذر القدرة على التذكر اما الذكريات فموجودة . يرجع برغسون ان السبب يعود الى فقدان القدرة على الاستعادة بدليل اذا ارشدنا الناسي الى المقطع الاول او نشجعه فنجده يتذكر ما عجز عنه يقول برغسون منتقدا ريبو : " فكيف يفسر كون فقدان الذاكرة يتبع هنا طريقة منهجية مبتدءا باسماء الاعلام ومنتها بالافعال ؟ فلا تكاد تكون هناك وسيلة الى ذلك لو كانت الصور اللفظية موضوعة حقا في خلايا القشرة : فلا يكون من الغرب حقا ان يمس المرضى دائما هذه الخلايا على نفس الترتيب ؟ "

النقد

اذا لم تكن الذكريات مخزنة في خلايا القشرة الدماغية ، فهي موجودة في النفس . هل يعني انها مستقلة عن فيزيولوجية الجسم ؟

- يرى بيارجاني ان برغون نظر الى الذاكرة نظرة فيلسوف وليس نظرة عالم ، فبالغ في التمييز بين الذاكرتين .



أنواع الذاكرة

الذاكرة العقلية والتذكر الإرادي

والذاكرة العقلية هي ذاكرة الأفكار والمعاني والبراهين سواء بالنسبة إلى أبعاد العلاقة المنطقية بين أجزاء الحادثة الواحدة ، أو أجزاء الحوادث الكثيرة ، " .. وهذا ما ينتهي بالشهود غالبا إلى الاعتقاد بأنهم رأوا ما كانوا يودون رؤيته ، فإذا تذكروا حديثا بجميع ألفاظه ، كانت ذاكرتهم حسية ، وإذا لم يتذكروا من الحديث إلا معانيه ، كانت ذاكرتهم عقلية " . كما أن للذاكرة العقلية أثر عميقا في مطالعة الكتب واكتساب العلوم ، وهي هامة جداً عند الفلاسفة والعلماء ، لأنهم يتذكرون مثلما يتخيلون ، وهذه الذاكرة العقلية تنضم إلى جميع أنواع الذاكرة فتؤلف معها كلا عضويًا واحدًا ، وأقل الناس تفكيرًا يستعين بالفهم على الحفظ . ومن صور الذاكرة العقلية التذكر الإرادي .

التذكر الإرادي :

هو استحضار مقصود للذكريات لاغراض معينة يكون مصحوب ببذل جهد وتركيز كبير تساهم فيه الارادة والتخيل تستدعى به الذكرى ويتم التعرف عليها والتعرف على ظروف اكتسابها .
هو نتاج الأفعال التذكيرية الخاصة أي ثمرة لتلك الأفعال التي يكمن هدفها الأساسي في التذكر وفي هذا تأكيد على أن الشرط الأهم في التذكر الإرادي يعود إلى التحديد الدقيق لمسألة التذكر فقد كشفت دراسات عديدة (سميرنوف 1966، لاودس 1972) عن أن اختلاف الأهداف التذكيرية يؤثر في جريان عملية التذكر نفسها وفي انتقاء الأساليب المستخدمة وفي النتائج التي يتم التوصل إليها .
وإن استخدام أساليب عقلانية في التذكر الارادي هو أحد الشروط الهامة التي تضمن مردودية عالية له .

ومن بين الأساليب العقلانية المنطقية ذات الأهمية الخاصة في التذكر الارادي نشير إلى أسلوب وضع مخطط للمادة التي يجب أن تحفظ وتختزن. ويشتمل المخطط التذكير بصورة عامة على خطوات ثلاث هي:

- تجزئة المادة إلى العناصر والاجزاء التي يتألف منها .
- إعطاء عنوان لكل جزء أو تمييز نقاط استناد فيه بحيث تؤلف رموزاً لمضمونه .

- جمع وتوحيد الاجزاء انطلاقاً من العناوين أو نقاط الارتكاز.
لقد ساعدت الدراسات والبحوث في مجال سيكولوجية الذاكرة وبخاصة فيما يتعلق بعلاقة الذاكرة بالعمليات المعرفية الأخرى ولا سيما التفكير على إثبات حقيقة وجود علاقة وثيقة بين الذاكرة والتفكير تمثلت في قول أحدهم (نقصد بالتذكر) التفكير بأمر ما كان في خبراتنا السابقة لكننا لم ن فكر فيه قبل هذه اللحظة بعبارة أخرى بعد التفكير وسيلة أو أداة للتذكر أي أن عملية التذكر تتشكل وتتكون على قاعدة عمليات التفكير وبالتالي تتأخر عنها مرحلة واحدة، أما الفعل التذكيري فيشتمل على مجموعة اطوار أو عمليات هي :

- التوجيه في المادة ككل أو الفهم العام لها .
- تقسيم المادة إلى مجموعات من العناصر .

- تحديد العلاقات بين العناصر في داخل كل مجموعة.
- تحديد العلاقات بين المجموعات.

2 - الذاكرة الانفعالية و التذكر العفوي

الذاكرة الانفعالية تتعلق بالأحداث المؤلمة او السارة و ما يصاحبها من عواطف و انفعالات تفرض نفسها على المتذكر بشكل عفوي .

الذاكرة الانفعالية

اختلف الباحثون في أمر الذاكرة الانفعالية ، فمنهم من قال أنها حقيقية مثل ريبو، بناء على أن من خواص الأحوال النفسية عامة، سواء كانت عقلية أو انفعالية، أن تُبعث من زوايا النسيان ؛ ومنهم من أنكر وجود الذاكرة الانفعالية كولين جيمس لأن الشيوخ عنده لا يسترجعون انفعالات الشباب. ولكنهم اتفقوا على أن هذه الانفعالية تختلف باختلاف الأشخاص فقد تكون قوية واضحة، وقد تكون ضعيفة ، كما اتفقوا، بالمقابل، على دور الذاكرة في حياتنا الانفعالية " ..فلولا الذاكرة لجفّت العواطف ، ولولا الماضي لغاب عن الإنسان وجه التأسّي ؛ فالذاكرة تحيي العواطف، وتوقظ الميول ، وتجدد الانفعالات " . وتظهر أهمية الذكريات وتصور الماضي أيضا في تكوين الشخصية ؛ فهوية الفرد إنما بدأت في الماضي ، ومن فقد القدرة على استرجاع هذا الماضي والوعي به فقد وحده شخصيته وفقد توازنه النفسي .

التذكر العفوي (اللاإرادي)

هو ظهور صور ما ضية نتعرف عليها على مستوى الذاكرة بصفة عفوية تلقائية دون بذل اب مجهود اثناء استرجاعها بل تفرض نفسها وذلك حسب قوانين تداعي المعاني وهي :

- 1 - قانون الاقترتن : حضور صورة في الذهن او ادراكها في الواقع يستدعي قرينتها مثل تاريخ معين يؤدي الى تذكر حادث مقترن به .
- 2 - قانون التشابه : حضور صورة في الذهن او ادراكها يستدعي شبيهها .

3 - قانون التضاد : هو عكس التشابه فالضد يذكرك بضده ، هذه القوانين الثلاثة يردّها كل من دفيد هيوم و جون ستوارت مل الى قانون الاقتران وهذا وتوجد قوانين فرعية اخرى .

1 - قانون التواتر : تردد الذكريات او تردد المدركات يجعل استحضارها اسهل . كالشعارات السياسية والاشهار

2 - قانون الشدة : يتعلق بقوة الذكرى

3 - قانون الجدة : كل جديد مثير .

وانتبه الى هذه القوانين ابو حامد الغزالي فقال : كما ان الخاطر ينتقل الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس منه اما بالمشابهة فبان ينظر الى الجميل فيتذكر جميلا اخر اما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيح ويتأمل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء و لا يدري وجه ما نسبته له "

هو تذكر موضوع أو موضوعات ما دون أن تكون هدفاً مباشراً للنشاط أو السلوك ويتم التوصل إلى هذا النوع من التذكر من خلال ارتباط موضوعه بموضوعات النشاط الارادي المقصود . حيث لا يكون المقصود من النشاط الارادي الواعي المنظم بلوغ أغراض تذكرية وإنما يكون الهدف عندئذ تحقيق أغراض عملية ومعرفية، ولهذا يعد التذكر اللا ارادي أحد نتائج النشاط الهادف، ويشغل حيزاً كبيراً وهاماً في حياة الإنسان ويكون الشكل الرئيسي والوحيد للتذكر في مراحل الطفولة الأولى لكنه يتراجع مع النمو ليفسح المجال للتذكر الارادي في المراحل النمائية اللاحقة مع أنه يظل ذا أهمية بالغة في مختلف المراحل العمرية.

انه تذكر موضوع أو موضوعات ما دون أن تكون هدفاً مباشراً للنشاط أو السلوك ويتم التوصل إلى هذا النوع من التذكر من خلال ارتباط موضوعه بموضوعات النشاط الارادي المقصود .

حيث لا يكون المقصود من النشاط الارادي الواعي المنظم بلوغ أغراض تذكرية وإنما يكون الهدف عندئذ تحقيق أغراض عملية ومعرفية، ولهذا يعد التذكر اللا ارادي أحد نتائج النشاط الهادف،

ويشغل حيزاً كبيراً وهاماً في حياة الإنسان ويكون الشكل الرئيسي والوحيد للتذكر في مراحل الطفولة الأولى لكنه يتراجع مع النمو ليفسح المجال للتذكر الارادي في المراحل النمائية اللاحقة مع أنه يظل ذا أهمية بالغة في مختلف المراحل العمرية.

الذاكرة الفردية و المجتمع

الذاكرة لاعلاقة بالفرد سواء بجانبه الفيزيولوجي او النفسي ، وانما الذاكرة من طبيعة إجتماعية ولولا وجود جماعة لأستحال وجود ذاكرة وذكريات . خاصة وأننا نستعمل اللغة في الذكريات والتعبير عنها وتخزينها . ان الادراك ممكن لاننا عندما نرى الاشياء نراها بعيون الغير او كما يتصورها الغير و لا يوجد ادراك بلا ذكريات (كونها مع الغير) والذكرى التي تعيد ادراكا جماعيا فإنها في حد ذاتها لايمكن الا ان تكون جماعية يقول هالفاكس (1877 - 1945) ، " فنحن لانستطيع ان نتذكر الا شريطة ان نعثر في اطر الذاكرة الجماعية على مكان الحوادث الماضية التي تهمننا " ويقول : " فاذا ما خرجنا عن ذواتنا فليس ذلك للاندماج مع الاشياء بل للنظر اليها من وجهة نظر الاخرين ولا يمكن هذا الا لاننا نتذكر العلاقات التي كونها معهم . وبالفعل ما دامت الذكرى تعيد ادراكا جماعيا فانها في حد ذاتها لا يمكن ان تكون الا جماعية ويكون من غير الممكن للفرد المقتصر على قواه فقط ان يتصور من جديد مالم يتمكن من تصوره اول مرة الا بالاعتماد على فكر زمرة " كما ان الناس يستعملون اللغة في الإفصاح عن ذاكرتهم وهذه اللغة مفهومة عند غيرهم وبما ان الذكرى نعبر عنها بكلمة فتكون هي ايضا اجتماعية . يقل هالفاكس : " ان اللغة وجملة نسق الاصطلاحات الاجتماعية التي تدعمها هي التي تمكنا في كل لحظة من إعادة بناء ماضيها " ويقول جون دولاي : " اننا نعني بهذا الاسم ذاكرة اجتماعية ما دعاه - بيا جاني - السلوك الاخباري تلك اللغة التي أنشأها المجتمع لمقاومة شروط الغياب والتي تبدو له أجدر ما تكون الذاكرة المستحقة لهذا الاسم " ان الذاكرة بهذا هي ذكرة الزمرة والأسرة والجماعة والطبقة والطائفة وذاكرة الأمة بأكملها لا ننا نعبر عنها باللغة واللغة ظاهرة اجتماعية .

مناقشة

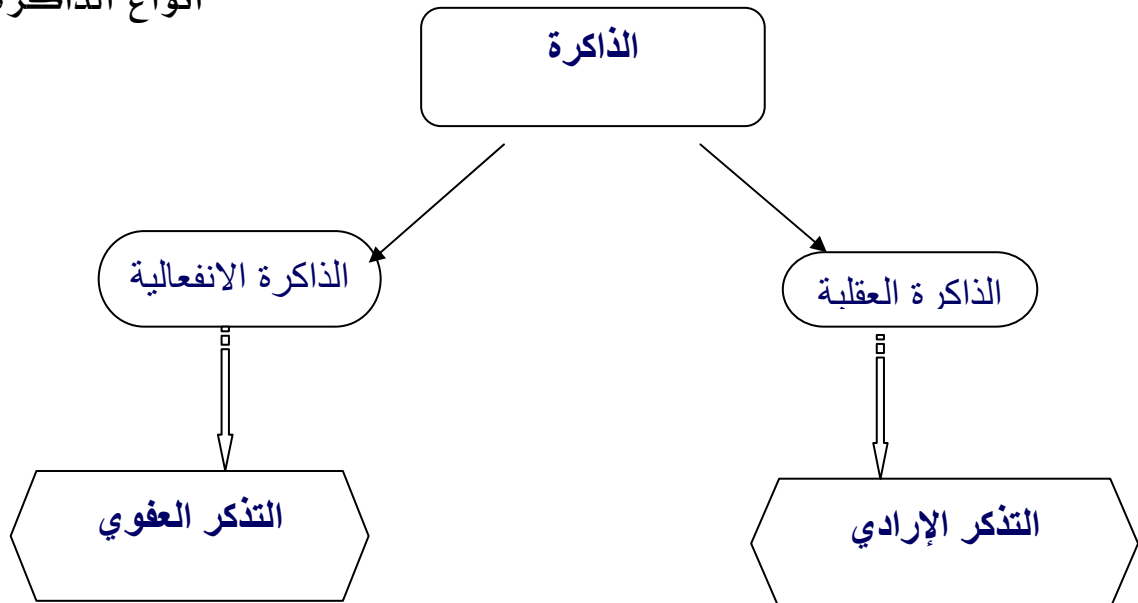
الذاكرة هي تذكر ادراكات بالفعل ونعبر عنها باللغة الا ان هذا الموقف الذي اعتمد على كون ذكرياتنا هي ادراكات وهذه الاخيرة ننظر اليها بعيون الغير ونعبر عنها بلغة يفهمها الغير فهذه حقائق لا تنكر ولكن ليس الى درجة جعل ذاكرة الفرد تنصهر في ذاكرة الجماعة فينبغي ان نفرق بين الأحداث الخاصة الشخصية والأحداث الاجتماعية

مكانة الذاكرة في حياة الإنسان

الذاكرة هي الخاصة الأكثر أهمية وعمومية للجهاز النفسي لدى الإنسان، التي تمكنه من تلقي التأثيرات الخارجية والحصول على المعلومات، وتجعله قادراً على معالجتها وترميزها وادخالها والاحتفاظ بها، واستخدامها في سلوكه المقبل كلما دعت الحاجة إليها. كما تضمن الذاكرة وحدة وكلية الشخصية.

ان الذاكرة بانواعها المختلفة ومستوياتها المتعددة و من خلال تأزرها مع التفكير واستخدامها لطرائقه وعملياته فإنها تحتل مكانة عظيمة في حياة الإنسان وهي العامل الحاسم في تقدمه وتطوره وفي استمرار وديمومة هذا التقدم لأن الإنسان بدون الذاكرة يبدو كما لو أنه يولد من جديد في كل لحظة .

أنواع الذاكرة



II - التخيل و الإبداع

كيف يمكن اعتبار التخيل استشرافا لما هو آت بغية ابداع صور لما هو واقع ؟

عرض وضعية مشكلة

في احد رسوماته يكشف ليوناردو دافنتشي عن آلة طائرة تشبه الى حد ما الطائرة المروحية ، كان ذلك في القرن 16 م ، بماذا تفسر هذا الإبداع ؟

التعليق

انه الخيال العلمي

استرجاع الماضي بين التخيل و التذكر

التخيل غير التذكر ولو ان كلاهما يتمحور حول الماضي ذلك لان التذكر هو استحضار صور ماضية مع تحديد الظروف الزمنية والملابس التي رافقتها . اما التخيل فيتميز بجانب إبداعي انه القدرة على انشاء صور وافكار جديدة عن طريق التركيب بين عناصرها ، فنقوم بعملية التأليف والتركيب والحذف والزيادة لنصل الى تكوين شيء جديد . ولكن لا يكون هناك إبداع الا اذا توفرت شروط معينة هذا النوع ينزع الى التحرر من الواقع والزمان مستعينا بالذكاء

العلاقة بين التخيل و الإدراك

اذا التخيل هو تركيب أشياء تمت معاينتها من قبل في الواقع و بعد صدور هذا المركب لا يدعي المتخيل انه يعاين الواقع ، و إلا أصبح واهم ، بمعنى ان الشيء المتخيل لا ندركه في الواقع الملموس و انما يبقى حبيس المخيلة الى ان يحين وقت تجسدها ان كان في الامكان . وهنا تنفصل عن عالم الخيال لتدخل عالم الواقع ، ثم تكون مادة للخيال مرة أخرى يركب منها ما يشاء و هكذا .

التخيل من التمثيل إلى الإبداع

هل الصور المتخيلة ، دائما على نفس المستوى بين الافراد ؟ الا يمكن العثور على أنواع و درجات من التخيل ؟ لأنه من غير المعقول ان يتساوى الناس في الخيال فبعضهم ذو خيال خصب و بعضهم لم يينا منه الا القليل .

مستويات التخيل

1 - التخيل التمثيلي

هو استحضار صور ماضية وفي هذه الحالة لا نجد فرق بينه وبين الذاكرة الا اذا علمنا ان المتخيل يستحضر الصور دون تحديد الظروف الزمنية والملابس التي رافقتها كتخيل منزل دون ان نتعرف عليه وفي هذه الحالة نكون تمثلهنا ولهذا قال عنه ريبو هو المشابهة الناقصة وقيل عنه انه ذاكرة بلا عرفان . وهو ما نجده عن كل فئات الناس مهما اختلفت قدراتهم العقلية .

2 - التخيل المبدع

هو القدرة على إنشاء صور وأفكار جديدة عن طريق التركيب بين عناصرها فاننا نتمثل الصورة في اذهاننا لانه لا توجد اشياء تقابلها في الواقع ولكن نقوم بعملية التاليف والركيب والحذف والزيادة لنصل الى تكوين شيء جديد .

و اذا كان خيال الناس قد قادهم الى تصور كائنات لا وجود لها و قوى خارقة فانه يمكن ان يحل الكثير من العقبات التي تحول دون سعادة الإنسان و رفاهيته ان الطائفة كانت حلما وصورة لم تتجاوز حدود الخيال ، و التنقل الى الفضاء الخارجي كثيرا ما راود الخيال الإنساني لكنه تحقق بفضل التخيل الإبداعي ولكن لا يكون هناك إبداع الا اذا توفرت شروط معينة . إن المبدع ينزع إلى التحرر من الواقع والزمان مستعينا بالذكاء ، وهو ضروري في عملية الابداع. يقول ريبو : " لقد تردد كثيرا ان كمال علم من العلوم يقاس بكمية الرياضات التي يحتوي عليها ، ويمكن ان نعكس القول فنقول ان عدم كماله يقاس بكمية التخيل التي يحتويها " .

مفهوم الإبداع

الإبداع يعني إيجاد الشيء من دون سبق مادة أو مدة كإبداع الله لما سواه وهذا يتجاوز الطاقة الإنسانية ، أما الإبداع المقصود هنا فهو تركيب شيء على غير مثال سابق و يرادفه الاختراع والابتكار ونجده عند الفنانين والمخترعين والعلماء والفلاسفة والأدباء، و لا يتمتع به كل الناس وإنما هو حكر على فئة معينة متحصلة على شروطه وقد أرجعها البعض الى عوامل نفسية .

عوامل الإبداع

العوامل النفسية

الإبداع نتيجة لقوة الخيال وتتحكم فيه عوامل نفسية يمكن اجمالها في الموهبة ودقة الملاحظة وقوة الذاكرة وخصوبة الخيال والانتباه والذكاء والطابع الانفعالي وقبل ذلك وجود مشكلة قائمة أمام الباحث وحدد هذه العوامل ريني بواريل في اليقظة والانتباه والاهتمام - انه الاهتمام الذي يحرك الباحث . ومما يستمد المبدع بالفعل هذه الطاقة الضرورية ان لم يستمدها من حياته العاطفية ، والمبدع عنده إنسان متحمس ولوع ، و التخيل المبدع يتضمن عناصر وجدانية هذا مانجده عند برغسون اذ يقول :ان العظماء الذين يتخيلون الفروض والإبطال والقد سين الذين يبدعون المفاهيم الأخلاقية . لا يبدعونها في حالة جمود الدم وإنما يبدعون في جو حماسي وتيار ديناميكي تتلاطم فيه الأفكار .انها شروط ضرورية للإبداع لكنها في حاجة الى شروط موضوعية مادية تتعلق بالبيئة التي يتم فيها الإبداع . ومنه كان لابد من شروط اجتماعية .

العوامل الموضوعية

لا يمكن ان يحدث الا مع وجود الشروط الاجتماعية من إمكانيات مادية وجو يشجع على الإبداع وقوانين تتكلف به. والملاحظة السريعة لمراكز الاختراعات والإبداع نجدها تتقاسمها الدول المصنعة وهذا يبين درجة التحكم المجتمع في عملية الإبداع فهي مرتبطة بالتطور الاقتصادي والاستقرار السياسي والمبدع لا يبدع لنفسه بل يبدع لغيره

فهو يبدع حسب حاجة المجتمع ومايسمح به المجتمع وما يمدحه فكل إبداع هو شاهد على روح العصر .

إذا الإبداع حتمية اجتماعية ، لان المخترع يعتبر عن التيارات التي ترتسم في المجتمع ويتميز عن غيره فقط في حساسيته الشديدة بالتحويلات التي تحدث في الضمير الجمعي . و يشمل الإبداع جميع الميادين التي يمكن للثقافة ان تحصرها في تعريفها سواء تعلق الأمر بالجانب المادي او الجانب الروحي للإنسان ومن هذه الميادين . هذا بالإضافة الى العوامل البيولوجية و التحديات الطبيعية.

III - الذاكرة و النسيان

لماذا لا يتم بناء هذه الذكرى و إبداع تلك الصورة الا بشكل نسبي و تقريبي ؟
وضعية مشكلة :

هل يمكن اعتبار الذاكرة الإنسانية أرشيف موثوق في محتوياته ؟ وهل يمكن الاطمئنان إلى ينتج عن المخيلة في القضايا المصيرية ؟ لا يمكن بأي حال التخلي عن الذاكرة و لكن ليس إلى درجة الاعتماد عليهما كوثائق و مصادر لا يرقى اليها الشك ، لأنها عرضة للخطأ و يتأثران كثيرا بالوضع الراهن ، وقد يؤثر فيهما الزمن او الأمراض .

الذاكرة بناء غير مكتمل للماضي

إن الذاكرة ليست نقل مباشر لأحداث وقعت في الماضي ، إنها إعادة بناء لتلك الحادثة من خلال تذكر الأشياء البارزة وهذا تبعا لشخصية المتذكر و ميوله و ثقافته و قدراته العقلية . والقصور فيها يترجم الى ظاهرتي النسيان و أمراض الذاكرة.

1 - آلية النسيان

النسيان هو فقدان المؤقت او النهائي لما حفظته الذاكرة من صور ومهارات حركية . يرى فيه برغسون حالة طبيعية خاضعة

لحاجتنا الراهنة اما الفيزيولوجيين فيردونه الى زوال الخلايا الحاملة للذكريات كما هو الحال في نسيان الشيخوخة وفسره فرويد بأنه كبت بطريقة لاواعية للذكريات المؤلمة . والنسيان قد يكون ملازم لحياة الإنسان بل يكون ضروري أحيانا أخرى وهنا نكون مع النسيان العادي.

النسيان العادي

ويعود الى بعض الشروط التي تتم فيها عملية التذكر كوجود الشخص في حالة هيجان وهناك شروط موضوعية أخرى اذا وجدت كانت نسبة الشيخوخة عالية كأن تثبت الذكريات في جو متوتر او يكون التثبيت بشك ل متواصل فتحدث ظاهرة الكف الرجعي وعندها تتناقص قابلية الحفظ كما يحدث النسيان العادي اذا كانت مواد الحفظ متشابهة ولهذا يجب ان تكون متباينة .

قيمة النسيان

لا يفهم من هذا ان وظيفة النسيان سلبية بل له وظيفة ايجابية لان الذهن ليس بمقدوره ان يستوعب جميع المستجدات من مهارات ومعارف فبه يتخلص من ذكريات سيئة، ولولا النسيان لبقى الحزين على حالته لذلك يرى برغسون أن أفضل ذاكرة هي الذاكرة النسيان . لكن قد يصبح النسيان حالة مرضية تؤدي الى العجز عن استحضار الذكريات كلياً او جزئياً او تنجر عنها فقدان القدرة على التثبيت وكلاهما يعدان من أمراض الذاكرة .

2 - أمراض الذاكرة

- صعوبة التذكر: ينشأ عن عجز في تثبيت الذكريات نتيجة مرض يصيب الجملة العصبية يكون مؤقتاً أحيانا مثل المصاب بالحمى الشديدة ، أو شبه دائم كما في أعراض الشيخوخة .
- فقدان الذاكرة : قد يكون جزئياً او كلياً وقتياً او دائماً للخبرات

السابقة

- فرط التذكر : التذكر الحاد : حالة استدعاء مفرط حيث يستطيع الشخص و صف خبراته الماضية بادق تفاصيلها .

- انحراف الذاكرة : وهو مرض الذاكرة الكاذبة ينشأ عن فساد العرفان ، حيث يورد المصاب باستمرار خبرات خاطئة ومحرّفة ومشوّهة ، وهو لا يعلم أنها كذلك .

التخيل من الحلم إلى الوهم

التخيل قد يكون مصدر الإلهام في البحث عن المعرفة لكنه قد يجر صاحبه بعيدا عن الواقع و يوقعه في الوهم ومن صور التخيل السلبي ما يلي :

أحلام اليقظة : عندما يشرد الإنسان بفكره بعيدا عن الواقع وهو في حالة اليقظة .

- الوهم و الهلوسة : فيتوهم في نفسه أشياء غير حقيقية والهلوسة تخيل أصوات موجودة وهي غير موجودة .

إذن على الرغم من أن الخيال مصدر الإلهام في البحث عن المعرفة الجديدة ، إلا أنه يمكن أن يكون مصدراً للخطر أيضا كصورة من صور فرط التخيل التي يعيشها البعض من الناس ؛ وهذا النوع من التخيل هو الذي دفع بالبعض إلى وصفه بالقوة الوهمية الكاذبة التي تولد الأحلام والأوهام ، وتبعث على الخطأ والرذيلة

وهكذا قد لا يكون التخيل وسيلة للإبداع وصناعة الواقع بقدر ما يكون أداة للإفلات من الواقع وتجاوزه بدون أي هدف يحققه الإنسان من ورائه ، بل هذا النوع من التخيل هو علامة على مرض في الشخصية .

خاتمة : حل المشكلة

تحليل المشكلة يجعلنا ننظر للذاكرة على إنها آلية نستحضر بها الماضي و التخيل آلية غرضها تركيب الصور الذهنية بغرض الإبداع ، لكن لا يعني هذا الفصل التام بين العمليتين لأنه يستحيل وجود تخيل بدون وجود ذكريات .